حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ ( عدد يوليو – سبتمبر ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

# تمظهرات الآخر في الرواية العراقية
# رواية (الكافرة ) لعلي بدر أنوذجا

**غاده جمال مكي ***

جامعة بغداد– كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية

## المستخلص

تعددت مظاهر الآخر في الرواية العراقية في السنوات الأخيرة، فالآخر ليس بالضرورة البعيد جغرافيا، أو صاحب العداء التأريخي أو التنافس الدائم، كما في رواية (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم، والروايات الأخرى التي على غرارها، إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها، أو يحارب بعضها البعض الآخر، فالأنا العربية تشظت وانقسمت أنواعا متصارعة فيما بينها، بعدما كانت محسومة في السابق، في صراع الأنا العربية مع الآخر الأجنبي، وهذا التشظي، وسم الرواية العربية المعاصرة بالتعقيد والغموض، فهناك اخر داخلي، واخر خارجي، والداخلي ينقسم الى أقسام عدة، وقد قمنا بدراسة كلا النوعين في رواية ( الكافرة )، وبما اننا في صدد دراسة الآخر فلابد من دراسة (الأنا ) لترابطهما الشديد مع بعضهما فلاوجود للآخر من دون وجود الذات ( الأنا )، لذلك قسنا البحث على مبحثين، وتمهيد، التمهيد : تناول ثنائية الأنا والآخر، وصورة الآخر في رواية الكافرة وتناول المبحث الأول : الآخر الداخلي وانواعه وتناول المبحث الثاني : الاخر الخارجي ثم الخاتمة وقائمة المصادر. وعلى الرغم من أن رواية ( الكافرة ) عنيت بجذور الأرهاب الديني، إلا ان (الآخر ) كان واضح فيها، فالمرأة كانت هي (الآخر) على امتداد الرواية، وعانت ماعانت من الظلم والإضطهاد من المجتمع الذكوري الذي يمثل (الأنا )، حتى تتحول المرأة في نهاية الرواية الى ( الأنا ) ويصبح الرجل هو (الآخر )، بتغير المكان والزمان .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

**١- ثنائية الأنا والآخر**

**٢- صورة الآخر في رواية الكافرة**

تعد ثنائية الأنا والآخر من أهم الثنائيات التي يعول عليها الدرس المقارن، لاسيما مايتعلق بالبحث عن موقف كل منها من الآخر ، من حيث الأفكار والصور – حقيقة كانت أم خيالية – التي تتشكل في ذهنية الأنا عن الآخر، أو العكس ؛ لذلك لابدّ من الوقوف على كنه المفهومين،والبحث عن العلاقة القائمة بينهما، كيف تنبني؟ وكيف تظهر؟ [١]، لاسيما على الأدب من خلال العناصر الآتية :

في مفهوم الأنا:

((الأنا)) مقابل ((للآخر))، لايحسن تعريف أحدهما من غير الآخر؛ لإرتباطهما الشديد مع بعضهما، وقد عرف المنظرون (الأنا ) على اختلاف استعمالاتهم، وتباين مشاربهم، فهم يشيرون إليه بـــ (الأنا)، و أخرى بالذات[٢] ، و( الأ نا ) تعني (( الفرد أي الموضوع القائم بذاته، القاعدي، المرتبط بالروح، أو الحامل المادي للنشاط الذي يكتسب واقعية الحياة في التعامل فقط مع شخص آخر، أي أنت))[٣] وهنا تبرز ذاتية ((الأنا ))' أي أثناء تصادمها مع اللا أنا أو مع الآخر ؛ لأن ((أنا )) تعني إبراز نقيض الذات، شيء ما مختلف، أو شخص ما أمام شخص آخر ( أنا = اللاأنا ) ( أنا = الآخر ) ( أنا = أنت ) [٤] ، ف ( الأنا) ضمير لفظي تجتمع فيه الأحاسيس، والمشاعر، والوعي، والإدراك، ولا يمكن أن تتبني هذه الأنا أو الذات إلا مع تفاعل متين مع غيرها، فهي لا تدرك نفسها إلا عبر الإعتراف بها من لدن وعي آخر بالذات،((وللتخلص من هذه التبعية يقوم الوعي بالذات نفسه على أنه أوحد، ويقصي الآخر، إن كل واحد يروم إلغاء الآخر حتى يحصل على اليقين بالذات ))[٥].

**في مفهوم الآخر :**

توجد العديد من الكلمات الدالة على مايقابل الـــ ( أنا )، كالا أنا، والآخر، والهو، و الغير، وهي دوال تتقارب فيما بينها من جهة،وتختلف في جوانب أخرى، ففي علم لنفس لفظ (الغير) مقابل للفظ الأنا،(( فكل ماهو موجود خارج الذات المدركة أو مستقلا عنها كان غيرها، ونحن نطلق على الشيء الموجود خارج الـــ (أنا)، اللا أنا، أو الآخر، فالأنا هي الذات المفكرة والموضوع الخارجي هو الآخر))[٦] . ويؤكد العلماء إن حضور الآخر ليس شيئاً عارضا، إلا أنه في الوقت نفسه ليس شيئا ًثابتاً باستمرار، بل تتغير خصائصه بتغير الظروف والمواقع [٧]، ويبقى العامل الأهم الذي يسهم في تنوع الآخر هو الأنا (الذات )، مما يعني أن كل وعي للذات هو في الوقت نفسه وعي بالآخر، أي بآخر واقعي أو متخيل، لا إنفكاك لواحدنا عنه فيما يفكر فيه أو يقول أو يسعى إليه[٨]، ويختلف الآخر باختلاف المنظور الذي تنظر منه الأنا، والوعي الذي تدركه، فالآخر ليس بالضرورة البعيد جغرافيا، أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس الدائم، إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها، أو يحارب بعضها بعضاً، فالأنا العربية تشظت وانقسمت أنواعا متصارعة فيما بينها، بعدما كانت محسومة في السابق، في صراع الأنا العربية مع الآخر الأجنبي، وهذا التشظي، وسم الرواية العربية المعاصرة بالتعقيد والغموض[٩]، فهناك نوعان من الآخر، الآخر الداخلي، والآخر الخارجي . والآخر الداخلي : هو كل آخر يشترك في المواطنة مع غيره، إذ يأتي الاختلاف من داخل ما يسمى جماعة (النحن ) نفسها، وتصبح في حينها الفكرة أو العقيدة أو الايدولوجيا وطناً جديداً، أو مجتمعا يجمع المنتمين إلى الفكرة، وبهذا يمكن تقسيم ( الآخر ) تبعا للجنس، أو الدين،أو الايدولوجيا، أو الجغرافية

كالاتي :[١٠]

- الآخر النوعي: الذي يقوم على أساس النوع المتباين رجل / إمرأة، ذكر / أنثى.
- الآخر الديني: وتكون التفرقة على أساس الدين، مسلم /مسيحي /يهودي .....الخ ويراد الطوائف والفرق المختلفة في كل دين .
- الآخر السلطوي: ويراد به الانقسام بين الحاكم والمحكوم .
- الآخر العنصري: إذ تقوم التفرقة هنا على أساس اللون أبيض/ أسود
- الآخر من حيث الإقامة: ريفي / حضري وما هذا التعدد في ((الآخر )) إلّا لتعدد زوايا النظر من خلال الـــــ ( أنا )

أما الآخر الخارجي: فهو الذي يتشكل وفقاً لمجموعة من الثنائيات مثل اللغة، القومية، التاريخ المشترك، الرقعة الجغرافية، الثقافة الجمعية، الإرث الحضاري، النظام السياسي، التصنيف العرفي، وكلها عوامل ومحددّات تتعلق بالهوية القومية بالدرجة الأولى، وهي التي تفصل الأنا عن الآخر وتبرز دائرة التمايز والتقابل بينهما،[١١]

في مفهوم الأنا والآخر :

معادلة الأنا والآخر غير ثابتة، إذ تتحول الأنا لتصبح آخراً بحسب ظروف الزمان والمكان، وطبيعة واتجاه العلاقة بين طرفي المعادلة، في الايطار الثقافي والسياسي الذي توجد فيه، وكذلك الطرف المقابل أو الآخر، حسب الظروف ذاتها يتحول ليصبح هو (الأنا)، مما يعني أن العلاقة بين المفهومين هي علاقة متحركة تبعا للحراك الثقافي والإجتماعي والحراك السياسي أيضا،

**٢ - الأخر في رواية (الكافرة ) :**

على الرغم من أن رواية ( الكافرة ) لعلي بدر، تدور حول الإرهاب الديني،الذي بات من أخطر الأمور التي تهدد عالمنا اليوم، لاسيما مجتمعاتنا العربية، إلا أن الروائي لم يتناول موضوع الإرهاب الديني من حيث حياة الإرهابين، ومعتقداتهم، وطرق غسل أدمغتهم،ومكان اجتماعاتهم، التي غالبا ماتكون في الجوامع والمساجد، و لم يتناول طرائق تفسيرهم للنصوص القرآنية الخاطئة التي يتخذونها وسيلة لمهاجمة الآخر المختلف دينياً، وطائفياً، وإقصائه، كما نجده في أغلب الروايات التي تناولت موضوعة الإرهاب ؛ فانمازت عنهن بتقصيها لجذور الإرهاب الديني، الذي يبدأ بالعنف الذكوري الذي يمارس ضد المرأة في مجتمعاتنا العربية، فهو نوع من التطرف ضد (الآخر) المختلف جنسياً، وهو بداية تطرف هذه الجماعات نحو الآخر المختلف دينيا،وطائفيا، فجل ماقدمه لنا الروائي (علي بدر)، هو صورة المرأة المستلبة جسدياً وفكرياً، فهي (آخر) قبل دخول المتشددين الإسلاميين _ وليس المسلمين_ الى القرية وفرض سيطرتهم عليها، وبقيت (آخراً) بعد دخولهم، فضلاً عن (الآخر) المختلف دينياً،وطائفياً، الذي استهدفته هذه الجماعات الإرهابية، إذ تعرض أحداث الرواية حول قصة (فاطمة) التي تعيش في قرية نائية، سيطر عليها المتشددون الاسلاميون، وأجبروها وأسرتها على خدمتهم،ثم يقتل والدها بعد قيامه بعملية انتحارية وكذلك زوجها؛ لينعم بوعد الحوريات، فيقرر الاسلاميون تزويجها الى عنصر من جماعتهم، فتقرر الهرب واللجوء إلى أوربا بمساعدة أحد المهربين، الذي يغتصبها في أثناء الرحلة، وفور وصولها الى بروكسل تبدأ حياتها الجديدة، وتقوم بتغير هويتها ليصبح اسمها (صوفي)، معلنة اندماجها مع المجتمع الجديد (الآخر الخارجي)، وبهذا تقوم الرواية على نوعين من الآخر، الآخر الداخلي، والآخر

الخارجي،- الذي سنبينه خلال البحث - أما طريقة سرد أحداث الرواية، فتقوم على الإسترجاع، إذ يتعرض صديق (فاطمة ) -بطلة الرواية - في بركسل الى حادث، فيغيب عن الوعي لشهور عده، فتزوره (فاطمة) باستمرار،وفي كل زيارة تسترجع شريط ذكرياتها وتروي له عن حياتها عله يسمعه او يستعيد وعيه .

الاخر النوعي : ثنائية الرجل / المرأة

الآخر الديني : مسلم / مسيحي

الآخر النوعي : ثنائية الرجل / المرأة

على الرغم من التطور الكبير الذي يشهده العالم اليوم في مجالات الحياة المختلفة، إلا أن وضع المرأة لم يتغير كثيرا في مجتمعاتنا العربية ، فما زالت مجتمعاتنا ذكورية بطرياركية، لاتقر بالمساواة السياسية، والإقتصادية، والإجتماعية بين النساء، والرجال، بل تؤكد على قصور المرأة ودونيتها وضرورة قوامة الرجل عليها، مهما كانت مكانتها العلمية والفكرية، وهذا ماتحاول السلطات المشبعة بالنزعة الذكورية المفرطة تمريره في مجتمع بدأ يأخذ بأسباب الديمقراطية، ويعرقل هذا المجتمع الأبوي القبلي فكرة المساواة ؛ لأنها تهدم أهم الأسس التي يقوم عليها وهي ملكية الرجل للمرأة، والثروة،والتصرف بمصيرها[١٢]. وهذا ماوجدناه في رواية ( الكافرة )، فنرى (فاطمة) تخبر صديقها ( ادريان )عن جدّها الذي لم تره في حياتها، لكنها سمعت عن والدها أنه ((حاز على ثروة كبيرة، كميراث من والده الذي كان أحد كبار الملاك في المنطقة وبما أنه أكبر شقيقاته الثلاث، فقد استولى على ثرواتهن أيضاً.))[١٣] وتضيف (فاطمة)، إن الأمر ((شائع في هذه المناطق من العالم، أن يحوز الرجل على ثروات شقيقاته، ولكي تكتمل ملكيته تماماً، رفض تزويجهن؛ لئلا يطالبنه بالإرث فيما بعد، وبقين في داره مثل العبيد، يعملن، ويسهرن على راحته.))[١٤] وهنا يتجسد النظام البطرياركي، الذي يبيح للأب أو الأخ (البطرياك) أن يمتلك كل شيء، بدءً من الأراضي وثرواتها، والناس، وأرواحهم،وفي مقدمتها امتلاكه للنساء، والتصرف بمصائرهن زواجا أو حرمانهن من اختيار حياتهن، فهن ملك يمين الأب أو الأخ أو الزوج[١٥]،هذه السلطة هي التي استطاع بموجبها الأخ من تقويض حياة أخواته فسلبهن حقوقهن المادية كما سلبهن حقهن في الحياة، وفي تكوين أسرة، وأن يصبحن زوجات وأمهات، ثم فيما بعد يبدد كل ثروته لأجل ((عاهرة ريفية شابة، تنتقل بين المدن بحثاً عن رزقها.))[١٥] ونتفق مع نوال سعداوي في ان المرأة مسؤولة الى حد كبير عن تعزيز عملية اضطهادها، وسلب حقوقها، وسحق ذاتها، فهي تحب قيودها واعتادتها ليس للفروق التشريحية بينها وبين الرجل؛ ولكن بسبب القهر الاجتماعي الطويل الذي تعرضت له المرأة[١٦]، فاصبح هناك عدد غير قليل من النساء يكرسن المكانة الثانوية للمرأة في مجتمعاتنا، ومن خلال الحوار الذي دار بين ( فاطمة) ووالدتها، نتبين هذه الفكرة المترسخة في ذهن والدتها عن دونية المرأة، فعندما تسألها ( فاطمة )عن الله سبحانه ،

((- هل هو رجل؟ أم امرأة؟

- هو روح، لارجل، ولا امرأة.

- لماذا نقول هو؟ ، ولانقول هي.

- لان لايصحّ أن نخاطب الله، باسم امرأة.

- لماذا؟

- لأن المرأة أقل من الرجل
- أقل بماذا؟
- أقل بكثير ...
- مثلاً، أريد أن أعرف، بماذا
- المرأة أقلّ ذكاء من الرجل ... الرجل؟ أفضل، والله خلق الرجل على صورته.

والمرأة خلقها على صورة من؟))[١٧] فلم تجد والدتها جواباً لها واكتفت بنظرات الاستغراب التي وجهتها نحو ابنتها، معبرة عن استنكارها لكل هذه الأسئلة، ونجد من الطبيعي أن تحمل والدة (فاطمة) هذه الأفكار، فهي اكتسبتها شيئاً فشيئاً من تنشأتها الاسرية أولاً، ثم من مجتمعها الذكوري الذي تعيش فيه، وأصبحت هذه الأفكار تورث من جيل إلى جيل، حتى غدت اليوم حقيقة لدى عدد غير قليل من نساء مجتمعنا، حتى اللاتي ينتمين الى الطبقة المثقفة. وتستمر (فاطمة )عن طريق الإسترجاع بالسرد لـــــ(ادريان )،عن قساوة وظلم المجتمع،الذي كانت تعيش فيه للمرأة، فتخبره بانها (( قادمة من الأرض الملعونة. من خضمّ أحداث القتل الغامضة. من عالم الشعوذة. من خنق الزوجات، وقتل الصبايا، وسائر الوقائع التي تدور، في إطار مرعب.))[١٨] فتخبره عن صديقة طفولتها ( جميلة ) كيف قتلها والدها ((بلا رحمة، ولاشفقة، هكذا ضربها، بصخرة على رأسها، فماتت. قتلها؛ لان ابن جارهم اغتصبها، فعل فعلته معها، وهرب. عادت إلى منزلها مرتاعة دون أن تفهم ماحدث لها، وبكل براءتها الطفلية راحت تسأل أمها عن الدم الذي سال بين ساقيها، فلطمت أمها خدها، وأخبرت والدها. فأراد الأب أن يقضي على عارها، بموتها.))[١٩] وهكذا يقرر الأب ذو الفكر البطرياركي انهاء حياة ابنته على الرغم من صغر سنها وعدم ادراكها لما حدث في جسدها، (( لأن المرأة هي بكارتها ))[٢٠] فـــــ ((إن فقدت بكارتها، فقدت حياتها ))[٢١] فتستنكر ( فاطمة ) ذلك، وتخبر ( ادريان ) بالحوار الذي دار بينها وبين والدها

(( – هل هذا هو العدل الإلهي، ياأبي؟ وماذا سيفقد الرجل ؟

- لاشيء
- كيف ؟
- هو رجل
- رجل ؟
- ثم استدرك والدي، وقال : ولكننا سنفقد شرفنا
- لكنه جسدي ...
- أنت لاتملكيه، ليس لك !

جسدي ليس لي ؟ ))[٢٢]. فتخبر ( أدريان ) بالشعور الذي انتابها في تلك اللحظة قائلة : (( شعرت تلك اللحظة بأنه يسحقني . فجسدي الذي لا يؤلم أحد غيري، يتبخرّ. ويتحول إلى شرف الرجال المحيطين بي!))[٢٣] .و تخبر( أدريان ) عن معاناة والدتها،وخوفها الشديد من الرجال، (( كانت أمي حين تتكلم مع أبي فإنها تدمدم، بهمهمة غير مفهومة . صوتها يأتيك خفيضاً، كما لو كان قادما من مكان ناء .إن يطلب منها شيئاً

فإنها لن تقول له سوى : تحت امرك [ ... ] كانت تقف أمام أكثر الرجال وحشية في العالم . رجل يطاع، ولا يقال له لا أبدا . لقد أمضت أمي حياتها باحثة في قاموسها عن أكثر الكلمات ملاءمة لمخاطبته [... ] مستخدمة جميع المعارف لإسعاده حتى تلك التي اشترتها بآلامها،ومعاناتها ))[٢٤]. فعندما تتزوج المرأة تنتقل من سلطة الاب والأخ الى سلطة الزوج، فقوانين الزواج الجائرة تجعل من المرأة ( الآخر ) ملك الرجل، ويفرض عليها الخضوع، والذل، ويفرض على الزوج القسوة، والبطش فمفهوم الرجولة يعني امتلاك القوة، وما يتبع من امتلاك القوة من تميز،إن الزوجة التي تطلب أن تتساوى بزوجها تتهم بأنها تحاول أن تسلب رجولة زوجها أو تجعله بغير رجولة، لذلك تخشى كثيراً من الزوجات المطالبة بهذا الحق[٢٥]، فنرى والدة ( فاطمة) تتعرض للضرب المبرح من زوجها (راضي ) السكير الذي فرضه المسلحون عليها بعد مقتل زوجها، إذ كان يعود كل ليلة ثملاً، ليمارس سطوته على زوجته فيضربها بقسوة ووحشية حتى يسيل الدم منها ويجبرها على القول إنها عاهرة فتتذكر (فاطمة) تلك الليلة جيداً ((رائحة الكحول الممزوجة بالثوم كانت تملأ الغرفة، ثمله لايخفف من قوة ضرباته التي يسدّدها إلى بطنها، وهو يقول، بصوت ثابت لايلين:

– قولي ((إنك عاهرة ))

– راضي، البنت نايمة الله يرضى عليك، وأخشى أن تصحو.

– بنتك ستصبح عاهرة مثلك. أنتن عاهرات. أنزلي يديك عن وجهك. وإلا سأدوس بقدمي في بطن الصبية

– أنزلي يديك عن وجهك.

– أنزلت يدها ببطء عن وجهها ففاجأها بضربة لاتلين على الأسنان [...] لن أتركك حتى تقولي أنا عاهرة))[٢٦]. فتستيقظ فاطمة لترى وجه والدتها ((الأزرق المتورم، وعينيها الداميتين كل يوم.))[٢٧] فتصف أمها (لادريان) ((أمي الحزينة دائماً الباكية أبداً، الشاكية من كل شيء لاتحب أن أضحك، أو أمزح، أو أمرح ... كأن هذا الشيئ خلق لأناس غيرنا، نحن ليس لنا من هذه الحياة غير الألم والموت، لانتلق من هذه الحياة غير القسوة والعنف))[٢٨]. وتخبر (أدريان ) المزيد عن والدتها التي لم تنسها يوماً قائلة : كاننت أمي شديدة الخوف (( كان الخوف يشلّها. نعم، كانت على الدوام – خائفة . سألتها مرة :

– لماذا أنت خائفة ياأمي ؟

– لأني امرأة

هكذا كان جوابها .

– لماذا تخاف المرأة ؟

– لا أعرف ... هي تخاف ..

– والرجل، ألا يخاف ؟

– هو يخاف أيضا، ولكن من أشياء مختلفة.

حسب أمي، تخاف المرأة من كل شيء يحيط بها . هي تخاف حينما تسير في الطريق ليلاً [... ] تخاف من صوت الأحذية التي ترّن على الرصيف خلفها. تتخيل أنها

تسرع إن هي أسرعت، وتبطيء، إن هي أبطأت . تخاف من عيون أشبه بعيون الحيوانات، تراقبها، وتترصدها ))[٢٩] فترد (فاطمة ) (( إنه الخوف من الرجال إذن ؟ ))[٣٠] . فلاتجيبها والدتها، فظلم الرجل وبطشه بالمرأة هو الذي جعلها تشعر بالخوف منه على الدوام ؛ لانها تعلم بانه لايفكر سوى في النصف الأسفل من جسمها، فتخبر(فاطمة ) (ادريان ) كيف اغتصبها المهرب في طريق هروبها الى بروكسل، مستغربة كيف يستطيع أن يفعل ذلك (( في المكان البارد المروع، في المكان المخيف ؛ حيث تلاحقنا دوريات الشرطة على الحدود، وقطعان الكلاب التي تتشمّم روائحنا، من مكان الى مكان، في ذلك المكان غير الآمن أبدا، حيث الجوع، والموت يتهددنا،حيث اللصوص وقطاع الطرق والمجرمون الذين يقطعون علينا الطريق،وعلينا أن نتخفى منهم أيضاً، في كل هذا الوضع الشاذ والغريب والخطير يفكر المهرب بشيء آخر. ))[٣١] كانت تتساءل (( من أين للرجل هذا القدرة على نسيان العالم والموت والأخطار والتفكير بقضيبه ...؟!))[٣٢] و تخبر (ادريان ) عن سبب قيام زوجها (رياض ) بعملية انتحارية في سوق من الاسواق الشعبية؛ ليحصل على سبعين حورية في الجنة، وتسخر (فاطمة ) من موقف زوجها هذا، فعندما جاءت الى اروربا وعلمت أن الحورية امرأة نصفها الأسفل سمكة تقول :(( أشفقت على رياض . كان يعجبني أن أقول له راحت عليك، يا رياض ... ماذا ستصنع، بسبعين امرأة نصفها الأسفل سمكة ؟ ستضاجع من في الفردوس ...؟))[٣٣] وتسترسل (فاطمة ) في حديثها مع (ادريان ) (( آه لوكنا جعلنا الحورية نصفها سمكة، كما في اوربا ![... ] لما أصبح مجاهد واحد في بلدي ... إنهم يجاهدون من أجل النصف الأسفل، من المرأة لا من أجل النصف الأعلى الذي يبقى مغطى غير مكشوف، إن الجهاد من أجل الجزء الأسفل فقط .))[٣٤] الذي نلاحظه في رواية ( الكافرة )ان كل مظاهر العنف الذي تعرضت له المرأة في القرية هو قبل دخول المتشددين الإسلاميين إليها فالنظرة المتدنية للمرأة كانت موجودة قبل دخولهم القرية، وصارت نحو الأسوأ بعد دخولهم، فكانت النساء تباع وتشترى فيما بينهم،إذ تخبر فاطمة (أدريان ) كيف كان المتشدوون يجلبون النساء

((من القرى القريبة التي يهاجمونها، وهنّ إما مسيحيات، أو أزيديات، أو زوجات مسلمين، كانوا يطلقون عليهم بالمرتدين. وكانت هذه الغرف تكبر بالنساء .إنه أمر بسيط، كما يقولون ! فما إن يرى المسلّحون أحداً،له زوجة جميلة حتى يتّهموه بالكفر والردة . بعدها ؛ يتم قتله ومن ثم يستولون على أثاث منزله،ويحملون زوجته إلى المنزل الكبير؛ لينام معها أحد المسلحين،ثم يبيعها للآخر.))[٣٥] فهذه الهيمنة الذكورية الوحشية على المرأة ( الآخر ) لم تختلف كثيراً بعد مجيء المتشددين الذين يدّعون الإسلام، فعندما يقرر هؤلاء أن إحدى نساء القرية ((كافرة وزانية)) من غير بيان سبب هذه التهمة الفظيعة، وتصدر الفتوى برجمها بعد صلاة الفجر وسط القرية، نجد الناس في القرية في حالة رضى إذ تصف (فاطمة) لـــ(ادريان) هذا المشهد البانورامي بألم شديد، فهي تتذكر كيف استيقظت المدينة الميتة باكراً؛ لتشهد حدثاً جديداً في تاريخها، ((حالة رضى غنائية في وجوه الناس، كأن هذا المشهد القاسي هبط عليهم مثل هدية. يتأهّب الناس للحدث، شعور بالسعادة الغامرة على الوجوه، ربما لأنهم ليسوا هم الضحايا. أو إنها الإثارة الشبيه بالصعود في المركبات الخطرة، في مدن الملاهي؛ حيث الفرح يصعد، كلما نقترب، من لحظة الموت))[٣٦] . فمن المفترض أن يتعاطف الناس معها، ويهبوا لمساعدتها؛ لعلمهم المسبق بظلم هؤلاء المتشددين الإسلامين وكذبهم، نراهم يشاركون سعداء بعملية

الرجم،لكونها امرأة (اخر)، فلو كان الرجل هو الذي زنى ماكان ليحصل كل هذا ؛ لأن الرجل يحق له أن يفعل كل شيء ومتى شاء،(على الرغم من ان الشريعة الاسلامية أمرت برجم الزاني والزانية لافرق بينهما ) فتستذكر (فاطمة)، ((جاءت سيارة، تحمل صخراً وقلبوها قرب الموضع. رمقت الفتاة بعينيها الحجارة الساقطة هناك. ارتاعت، وبان الرعب في وجهها وعينيها [... ] هرع الرجال والنساء، والأطفال؛ ليحمل كل واحد منه نصيبه من الحجارة. لم أحمل حجراً. كانت أمامي، وقد وقفت إزاءها، بالضبط، متفحصة جسدها. كان يمكنني أيضا أن أسمع أنينها، بل كنت أسمع حتى تنفسها، أرى الدمعة، في عينيها، أشعر بوجهها البرئ، وكنت أشعر ببراءتها))[٣٧]. وعلى الرغم من أنَّ (فاطمة) كانت لاتزال طفلة عند وقوع هذه الحادثة إلا انها تركت أثرا عميقا في داخلها غير مجرى حياتها.

- الآخر الديني : مسلم / مسيحي

**ثقافة رفض الآخر :**

أول موقف رفض ( للآخر ) يسجله التاريخ، هو رفض إبليس السجود لآدم ( عليه السلام )[٣٨] – إلى جانب كونه معصيه لرب العالمين – وقد برر إبليس ذلك التصرف ؛ بأنه خير منه، قال تعالى : (( إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (٧١) **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣)**)) وهكذا كان يرى ابليس بأنه سابق على آدم ( عليه السلام ) في الوجود، فضلا عن انه مخلوق من نار، وهو من الملائكة المفطورين على الطاعة لايعصون الله ما أمرهم ، وادم عليه السلام من الإنس، فكان يريد هو وقبيله الوريث الوحيد المحتمل للجنة، وابليس لم يكتفي برفض ادم ( عليه السلام ) بل توعد بني آدم جميعهم بالانتقام، (( لأغوينهم أجمعين ))[٣٩] وهذه من أخطر سمات (رفض الآخر )، وهو الإنشغال بتدميره وصولا إلى استباحته ؛ فقط لأنه (آخر)، فعندما طرد الله سبحانه ابليس من الجنة، لم ينطق بكلمة ندم أو توبة، بل كان تركيزه على حرمان الآخر من الجنة حتى أصبح أهم من نجاة الذات،وهناك كثير من آيات القران الكريم التي تنقل لنا توعد ابليس لبني ادم حتى قال الله تعالى: (( ان الشيطان لكم عدو مبين ))[٤٠] . وهكذ تسعى كل أمة إلى التمركز حول إشارة مميزة ( دين، مذهب، قومية، لغة) لتعرف نفسها من خلالها معتبرة أنها مرتكز الهوية التي تعرف( الأنا )، ومن ثم تعزل نفسها عن كل من لايحمل شارتها فهو "( آخر )، فتحاولت تدميره والغائه أو اقصائه لانها ترى انها الافضل[٤١]، وهذا ماعرضه لنا الروائي (علي بدر ) في روايته ( الكافرة )، فهو يعرض لنا الحرب اللبنانية الأهلية التي حدثت بين الإسلام والمسيح في لبنان، فكان كل منهما يكفر الآخر ويحاول أن يقصيه، فعن طريق الصدفة تكتشف (فاطمة ) أن (ادريان ) ليس بلجيكياً كما جعلها تعتقد، بل هو من أصول لبنانية وأن والده تابع لأحد المليشيات المسيحية التي قامت بقتل المدنيين في لبنان في أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، وجاء إنضمامه إلى هذه المليشيات كرد فعل على قتل جميع أفراد أسرته على يد المليشيات

المعادية، ثم قامت بحرق منزله، حتى شقيقته الصغرى التي كانت لاتزال طفلة،لم تنج من القتل، وعن طريق أشرطة الفديو الموجودة في شقة (ادريان ) تكتشف (فاطمة) قصة والده، و كيف اقتحمت هذه المليشيات الحي الذي كان يسكن فيه (جبور) مع عائلته –والد (ادريان)– (( التي لم تكتف بقتل السكان، إنما بتهجيرهم أيضا، واسكان عائلات أخرى محلهم . فقد طرد المسيحيون من حيهم، وتم اسكان عائلات أخرى، وقد أحرق منزلهم، وأحرقت الكنيسة، وتحول أكبر منزل هناك إلى منزل أحد قادة المليشيا ))[٤٢] . كل ذلك دفعه للانتقام (( مع أنه كان كارها في أعماق روحه عمله في المليشيات. بعد ذلك وحين ازدادت فظائع الحرب، لم يحتمل . ففكر، بالهرب من البلاد جميعها ؛كي يجد الطمأنينة الدائمة، فجاء الى اوسلو .ومن ثم الى ستوكهولم للاختباء وراء أي عمل٠))[٤٣] ليتخلص من الذكريات المؤلمة، وعن طريق الصدفة عثرت (فاطمة ) في شقة (ادريان ) على أشرطة فيديو مكتوب على أحدها (مقابلات مع أفراد من مليشيات الحرب الأهلية اللبنانية) وكانت المخرجة ألمانية صورتها موضوعة على الغلاف، فتشغل (صوفيا / فاطمة) الشريط ويبدأ السرد التسجيلي في الرواية ((كان الفلم يقدم مقتطفات لأحداث الغزو الإسرائيلي للبنان في العام ١٩٨٢. فلسطينيون، مليشيات مسيحية، أحزاب لبنانية، صراع دموي))[٤٤]. ويظهر والد (ادريان) في الشريط وهو يتحدث عن الحرب اللبنانية الأهلية في لقاء معه بعد أن وصل إلى بلجيكا، فكان يعترف ويعترف بكل الجرائم التي إرتكبها فيقول في أثناء اللقاء: ((كانت عمليات القتل بلا إنقطاع، تواصلت ثلاثة أيام بلا إنقطاع، كانوا يقتلون المدنيين جميعهم نساء ورجالاً وأطفالاً.))[٤٥] فقد كانت مهمتهم واضحة ((القتل، ثم القتل، ثم التنكيل والتعذيب والإغتصاب قبل القتل، اقتلوا كل كائن حي، يتحرك: كبيراً، أو صغيراً، ذكراً، أو أنثى، إنساناً، أو حيواناً))[٤٦] ويشعر والد (اندريان) بالندم وبتأنيب الضمير لسنوات طويلة، (( فالانتقام الذي دفعه للانخراط في عمل المليشيات لم يقدم لروحه الخلاص، إنما الألم والعذاب المر حتى أخذ شيئا فشيئا ينشد الاعتراف لتخليص روحه مما لحق بها من عذابات وأخطاء ارتكبها))[٤٧]. حتى يقرر الإنتحار وإنهاء حياته؛ ليهرب من ذاكرته المثقلة بصور القتلى والدماء.

**الآخر الخارجي : ثنائية الشرق والغرب**

تمثل ثنائية الشرق والغرب إحدى أهم ثنائيات الآنا والآخر، إذ لايستطيع الواحد منهما أن يعي ذاته ويكشفها بلا وعي الآخر، على الرغم من كل الصراعات والنزاعات التي تفرقها[٤٨]، وتحت وطأة الشعور بتفوق الغرب وبالعجز العربي ومع تعمق صدمة الحداثة أصبح هاجس العلاقة بالغرب حاضرا ومؤثرا في بنية العقل العربي، وأصبح حضوره في مشاريعنا المستقبلية حضورا مزدوجا، نحن نستحضره بوصفه خصماً نخشاه، وفي الوقت ذاته مثال ونموذج يفرض علينا الاقتداء به بشكل من الأشكال لاسيما في مجال العلم والتكنلوجيا، إنه ((الآخر )) الذي تشعر ((الآنا )) أنه يلغيها، ولكنه في الوقت نفسه ((المثال )) الذي لايستطيع ((الآنا))أن تفكر في مستقبلها من دون الارتباط به نوعا من الارتباط،فأصبح يمثل الحلم المنشود [٤٩]؛لاسيما بعد مامرت به الدول العربية من حروب وويلات وخراب ودمار .

وعادة ماتنقسم الرؤية إلى الغرب إلى ثلاثة أقسام : انبهارية، عدوانية وأخرى حضارية،[٥٠]

١–انبهارية : وتعبر عن موقف اعجاب ((الآنا )) بـــ ((الآخر )) وحماسته لإقامة العلاقة معه وهذا الاندهاش يتأتى من عدم رؤية الآخر إلا في جانبه المنظم، والمتفوق

،والعقلاني ولايرى في هذا الآخر إلا الجانب الايجابي الذي يمنعه من رؤية الأمور بموضوعية .وهذا الشعور تولد أثر الصدمة الأولى المتمثلة في رحلة العرب الى بلاد الغرب منذ القرن التاسع عشر فقد برزت الفوارق الشاسعة في العيش والثقافة وحرية الفكر والادب والسياسة .

٢-عدوانية: وهذه الرؤية مناقضة للرؤية الأولى فهي تعد ((الآخر)) عدواً للـــ ((الآنا)) بكل مايحمله من فكر وثقافة وسياسة، فلا يترك صفة سلبية إلا ويلصقها بالغرب، وهي تركز بصورة خاصة على ماينسجم مع الشعور الجمعي العربي الاسلامي من حيث وصف الغرب بالكفر، والفساد، والانحلال الأخلاقي .....الخ . فضلا عن كونه هو الآخر العدو، المستعمر المستبد .

٣-حضارية : وتقف هذه الرؤية وسطا بين الرؤيتين، فهي تضع الآخر موضع الوسطية والإعتدال، و توضح العلاقة الملتبسة مع الغرب،وتضعها في اطارها التاريخي، لينطلق منها بعد ذلك الى بناء علاقة ايجابية مثمرة تقوم على الأخذ والعطاء، بعيدا عن التعصب الذي يعمي البصر والبصيرة فليس كل الغرب سلبي، وليس كله ايجابي، انما لا بد من اكتساب ثقة بالذات تمكن من الحفاظ على الهوية العربية ومرتكزاتها من جهة، والاحتكاك بالآخر للإفادة من خبراته العلمية والتقنية للإسهام في التنمية والرقي والازدهار

أول رواية عالجت موضوع العلاقة بين الشرق والغرب هي رواية (عصفور من الشرق) لتوفيق الحكيم الصادرة عام ١٩٣٨، مرورا بـــــ ( الحي اللاتيني ) لسهيل ادريس ووصولا الى (موسم الهجرة الى الشمال ) للطيب الصالح، ويرى جورج طرابيشي أن القاسم المشترك بين جميع هذه الروايات هو الإطار المكاني لأحداثها فجميع الاحداث دارت في باريس ولندن تحديدا حاضرتي الدولتين المتروبوليتين سابقا، و أن أبطالها بلا استثناء هم من المثقفين، الذين قدموا إلى حاضرتي الغرب طلبا للعلم،أو الأدب،أو الفن، وكل رواية هي تجربة ذاتية وان لم ترد بضمير الأنا [٥١] . أما الروايات الحديثة الصادرة بعد حرب الخليج الأولى الى الآن، نجد طريقة اللقاء بالغرب قد تغيرت، فلم يعد البطل ذاك المترف الذي ترسله أسرته للدراسة في باريس أو لندن، فأصبح اللقاء بالغرب أما عن طريق حملات الاستعمار التي اجتاحت الدول العربية، او عن طريق النزوح الجماعي الذي لم يشهده الوطن العربي من قبل ؛ جراء الحروب والخراب والدمار الذي حل ببعض الدول العربية لاسيما العراق وسوريا، فأصبحت أي دولة خارج حدود الوطن العربي هي الخلاص والأمان الذي ينشده أبطال الروايات .

وعلى الرغم من أن رواية (الكافرة ) – التي نقوم بدراستها– لم تتناول موضوع النزوح ولقاء الشرق بالغرب كثيمة رئيسة في الرواية، إلا أنها عرجت على موضوع النزوح هربا من الموت وبحثا عن الأمان، فنجد بطلة الرواية (فاطمة ) تتفق مع أحد المهربين ليهربها الى خارج البلاد بعد ماتعرضت له من معانات على يد المتشددين الاسلاميين الذين سيطروا على قريتها،وكانوا وراء مقتل ابيها وزوجها، فكانت تشعر بالضعف والانكسار فتروي (لادريان ) قائلة: (( إن هذا الشعور سيستغلونه أبشع الاستغلال، لإذلالي ومضاجعتي، والتناوب علي، من شخص الى آخر كل هذه انتقاما لاحتقاري لهم، ولعنادي .))[٥٢] فقررت الهرب الى أوربا فهو الخلاص الوحيد أمامها ، حتى أنها لم تختر الدولة التي تريد الهرب اليها فهي ليست في موقف يسمح لها بالخيار، فهي ككل النازحين همهم الوحيد الهرب الى (( الآخر )) الى الغرب طوق النجاة الوحيد

لهم . فيقترح عليها المهرب الدولة التي تلجأ اليها وكيفية الوصول اليها، فتتذكر (فاطمة ) كلام المهرب لها في حينها ((سنهرب الى ايران، ومن ايران، الى تركيا، [ ... ] ستعبر بك الشاحنة الى اليونان، من يونان الى بلغاريا، ومن هناك، سندخل ألمانيا، ومن ألمانيا سنذهب الى بلجيكا ))[٥٣]. وبعد طريق طويل جدا محفوف بالمخاطر تصل (فاطمة ) إلى بروكسل ولم تعرف غير عنوان (البتي شاتو ) وهو كامب للاجئين، ومع أول يوم وصولها تصف لنا الشعور الذي انتابها ((أكلت الخبز والشوكولاته، فشعرت بشيئين معاً: الأمان والامتلاء .[... ] شعرت بأني حرة .شعرت بأني جرو صغير،أطلقوا حريته، فأخذ يستمتع، بألعاب طائشة .شعرت بأني طليقة،وأني أعيش يومي،لا أفكر بالغد مطلقا .ذلك اني كنت – في مامضى – خائفة – على الدوام – من الغد، فكنت أحشو حقيبتي القماش،بالخبز، وبأي طعام،يصير أمامي . لدي خوف دائم من ألا احصل على طعامي أو لا أحصل على مأوى))[٥٤] . نرى ( فاطمة ) وهي في مرحلة الإنبهار بـــــــ (الآخر) فتنقل لنا شعورها (( حين سرت في شوارع بروكسل، أ دهشتني واجهات البنايات، الأسطح الحجرية الملونة، وزحام السيارات . لفت انتباهي العدد الكبير من الحمائم والعجائز في الجادات الواسعة التي تحفها أشجار الدلب . كنت أسير على الأرصفة طوال الوقت مندهشة))[٥٥] . أما لحظة حصولها على اللجوء فتستذكر ( فاطمة) ذلك اليوم وتروي لـــــــ (ادريان ) (( لقد حصلت على اللجوء، هنا، في بلجيكا. كدت أسقط على الأرض . كاد أن يغمى علي .[ ... ] هكذا تغيرت الحياة، في نظري ))[٥٦]كانت (فاطمة ) سعيدة جدا لحصولها على اللجوء ووافقت على الفور على أول شقة رأتها مع المساعدة البلجيكة على الرغم من أن ((مؤلفة من غرفة واحدة، تشبه العلبة الصغيرة ))[٥٧] وحين سألتها المساعدة عن الغرفة وامكانية استبدالها، تقول فاطمة ( لادريان ) :(( كدت أضحك . كيف لاتعجبني ؟ هل عشت يوما في مكان أحسن من هذا ؟ كيف لاتعجبني ))[٥٨] . ومع مرور الوقت، سرعان ما اختفى هذا الانبهار والاندهاش الذي شعرت به لحظة وصولها الى بروكسل، فبعد خوضها غمار الحياة والعمل في بروكسل بدأت تواجه المشاكل في عملها و شعرت بأن كرامتها قد هدرت كما شعرت بالاهانة والاذلال كانت تبكي بحرقة وألم حتى فقرت الانتحار، فمزقت شريانها ولولا وصول جارتها في الوقت المناسب لكانت قد فارقت الحياة [٥٩] . ومن هنا بدأت تبحث عن سبب مأساتها، فتقول (لادريان ): ((فأدركت أن سبب مأساتي هو أني أعيش في هذا العالم كلاجئة غريبة وحيدة أيضا. المهاجرون الذين جاءوا للعمل هنا، لهم عائلاتهم، وشبكة علاقاتهم، وأعمالهم، بينما يأتي اللاجئ، بسبب الحروب والكوارث وحيدا، دون عمل،دون علاقات، المرأة على نحو خاص))[٦٠] فتنقل لنا (فاطمة) رؤية هؤلاء المهاجرين والنازحين لبعضهم البعض وللمرأة على وجه التحديد، العمال المهاجرون أكثر استقرارا، وأكثر غنى، لذا ؛ فهم لاينظرون باحترام للاجئين القادمين بسبب الحروب والأخطار .فالاخيرون فقراء، وحيدون، يعيشون على المساعدات، لايعرفون اللغة. وهكذا تنظر طبقة المهاجرين العاملين إلى اللاجئين باحتقار دائم. للمرأة على نحو خاص، فهم يعتبرونها عاهرة، أو عاهرة كامنة، لذلك ؛ فهم يحاولون الإيقاع بها قدر الإمكان .العمال المهاجرون لايحترمون إلا الساكن الأصلي، هم يكرهونه، ولكنهم لايحتقرونه .يشعرون بدونيتهم أمامه .ينظرون اليه، بإعجاب شديد، ولكنهم لايحبونه . أما اللاجئ فهو في الدرك الأسفل من هذا التقسيم.))[٦١] و تنقل لنا (فاطمة ) رؤية المجتمع البلجيكي ( الآخر ) للنازحين والمهاجرين . فتقول (فاطمة ): ((

كنت أسير في الشوارع والناس تنظرني،باستغراب، بسبب أسمالي الواسعة جدا . بسبب قمصاني المختلفة الألوان التي ألبسها الواحدة فوق الأخرى، أو من شعري المجعد الأسود، ووجهي العربي النحاسي .))[٦٢] وعندما تحرش بها أحد المهاجرين من الألبان بدأت بالعراك معه، فحدث شجار عنيف بينهما، قطع أزرار قميصها، فأدمته، فتروي ( فاطمة ) لـــــــ( ادريان ) ماحدث بعد ذلك،((شعرت يومها بالاهانة والإذلال، حين عدت الى المنزل، بكيت بحرقة وألم . وقد ذهبت إلى الشرطة ؛ كي أشتكيه، ولكن الأمر كان بائساً جدا ً. لم تفعل الشرطة ماينبغي . كانوا يتعاملون مع الأمر، كما لو أنها معركة بين مهاجرين . معركة لاتخصهم، شلة من الأوباش يتصارعون ))[٦٣] لطلب الرزق، وتضيف(فاطمة) مع شعورها بالألم وهي تسترجع هذه الذكريات الأليمة، شعرت يومها (( بالأسى، بالإندحار التام . بل بقيت في المنزل شهرا كاملا من دون أن أخرج إلا للسوق، وبأقل الحاجات، وأعود للمنزل . كان الجو باردا،بعواصف وأمطار شديدة، وحينما كنت أخرج، أشعر أن كل الناس تنظر نحوي، باحتقار شديد .))[٦٤] بعد هذه الحادثة قررت ( فاطمة ) تغيير حياتها، فلم تعدد تحتمل كونها ( آخراً )، في هذا البلد وأصرت أن تصبح واحدة منهم، أن تصبح (أنا)، ولو على حساب هويتها، فتروي لـــ(ادريان ) (( هكذا قررت أن أغير هويتي، أن أغير حياتي، برمتها . الشئ الأول الذي قررت تغييره هو اسمي، لم أعد فاطمة العربية، إنما صوفي البلجيكية . اسم وجدته في الصحيفة [ ... ] ثم عرجت على اسم لعائلة بارزة دومونت Dumont، ووضعته كاسم لعائلتي . فرددت مع نفسي أنا صوفي دومونت، فشعرت بالفرح والإنتشاء.))[٦٥] كانت تقول في نفسها: (( الاسم البلجيكي الجديد سيمنحني حياة جديدة، سينكر كل أصل لي، وينفيه .سيجعل مني امرأة محترمة .سيرغم الجميع على احترامي .))[٦٦] كانت تشعر ان الاسم الجديد ( له طاقة أخرى غير الطاقة الواطئة التي كان عليها اسمي القديم . بل أن مجرد لفظ اسمي الجديد، قد منحني قوة مضافة، تأتيني، من مكان ما، وتضاف لجسدي وإرادتي، وأن هذه القوة قادرة على رد أي اعتداء عني .))[٦٧] بعد أن غيرت (فاطمة ) اسمها تغير كل شيء في نظرها، حتى شقتها التي كانت معجبة جدا بها،(( عرفت شيئا فشيئا أن هذه الشقة التي أقطنهاهي الأكثر بشاعة ودمامة، في كل بروكسل، بل في كل بلجيكا أيضاً. ))[٦٨] فقد تغيرت بسرعة نظرتها الى هذا العالم (الآخر )،الذي كانت شديدة الانبهار به،فتقول : (( صرت أنظر للحجرة هذه على أنها حجرة لاجئة فقيرة، حجرة بشعة، تليق بفاطمة التي رميتها خلفي . بتلك الفتاة التي اغتصبت من قبل المهرب الخائن،والتي أهانها الألباني الكلب،وضربها في الشارع على وجهها . لتلك اللاجئة التي يحتقرها ويذلها المهاجرون، ولا تريد أن تسمع الشرطة البلجيكية شكواها . حجرة بشعة كئيبة رطبة . لكن ؛ كيف تغيرت في نظري بهذه الصورة السريعة .))[٦٩] وهنا بدأت فاطمة تتأثر بـــــــ ( الآخر )على الرغم حقدها عليه فتقول : (( كان لتعرفي على جارتي البلجيكية والهولندية أكبر الأثر علي، بدخولي لشقيتهما، تغيرت نظرتي لشقتي، ))[٧٠] فكانت عندما تدخل شقة جارتها البلجيكية تنبهر (( بالترتيب الذي عليها صالونها ))[٧١] فأحست حينها ببشاعة شقتها، لذلك قررت مغادرة المكان الذي لايعيش فيه :إلا المهاجرون،والسكن في مكان محترم ((لايقطنه المهاجرون، إنما البرجوازيون المحترمون.))[٧٢] وبالفعل كان لها ماأرادت فسرعان ماحصلت على عمل في شركة تركية للتنظيف، واستطاعت جمع مبلغ من المال للانتقال الى شقة جديدة كما خططت لايقطنها الا البرجوازيون، وبعد أن استقرت أوضاع (صوفيا) في بروكسل، تخبر ( ادريان ) بأنها بدأت بالإنتقام من هذا

((الآخر ) الذي دمر حياتها، وكان (الآخر) في هذه المرحلة التي مرت بها (صوفيا ) هو ( الرجل )، فتخبر (ادريان ) قائلة : (( اسمع، علي أن أعترف لك أيضاً، أن الأمر لم يكن بالنسبة لي سوى انتقام محض في البدئ .))[٧٣]وتضيف (( حين قال زوجي قبل موته إن سبعين حورية، بانتظاره في الفردوس، شعرت باذلال كبير . وحين وصلت هنا، الى اوربا، قررت أن أنام مع سبعين رجلاً، أجرهم جراً إلى فراشي ))[٧٤]. فعندما كانت في الشرق عانت ماعانت من المجتمع الذكوري، وكانت دوما هي (الآخر) المضطهد، أما اليوم فهي في اوربا، التي تمثل الأنوثه، فتستطيع فعل ماتشاء ومتى تشاء، في مجتمع ينفتح أمام المرأة بلا حدود، وهكذا بتغير المكان والزمان انقلبت الأدوار فأصبح (الآخر ) الذي كان يتمثل بـــ (فاطمة) في الشرق، (أنا) (صوفي ) البلجيكية، و(الأنا ) الذي كان يمثل الذكورة في الشرق أصبح (آخرا) في اوربا، فتقول (لادريان ) : ثم تحول الأمر(( إلى لعبة، تحول إلى تسلية، إلى شيئ ممتع، أقوم به ضد الرجال ؛ كي أتحدى ذكاءهم . أحطم لهم عنجهيتهم، واعتدادهم، بنفسهم . أستخدمه للسخرية والضحك منهم، لأكتشف كم هم هشون وساذجون وأغبياء أحيانا ؛لأكتشف شيئا فشيئا،كم هم مضحكون ومثيرون ، للسخرية ولكنهم لايعرفون . إنهم يحملون عن أنفسهم صورة عالية، لاعلاقة لها، بالواقع، وكان يعجبني أن أجعل هذه الصورة، في الحضيض.))[٧٥] أما صديقها (ادريان ) فكان والده من أصل لبناني، وجاء الى بروكسل في أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، بعد أن كان عضوا ناشطا في أحد مليشياتها،فكان ( ادريان ) منذ طفولته يعيش في هذا التناقض،ببساطة؛ لأنه يقع بين ثقافتين، فحين كان طفلا، كان يسخر من الكتب التي كان يقرؤها،الكتب التي تعد الشرق هو الجنة التي أضاعها الإنسان الأوربي،كان يدرك أن هذا الشرق البعيد والمشمس هو سبب نكبته وحزنه . هذا الشرق قد فقد براءته وعذريته ونبله، انه امتداد للعصور المظلمة، للعصور الوسطى،بحروبها الدموية ؛لذلك كان يهرب الى عوالم أكثر حرية وطواعية هو عالم الخيال، وعندما يعود من عالم الخيال،يجد العالم مختلفا .))[٧٦] نجح (ادريان ) في أن يغدو شخصا آخر حتى ( صوفيا ) لم تكن تعرف شيئا عن أصله اللبناني هو الاخر حاول الاندماج في المجتمع الاوربي وتناسي كل مايمت بصلة بأصله العربي، وهكذا أنكر( أدريان ) أن يكون لبنانيا ابن غابرييل جبور، كما تخفت فاطمة بصورة صوفي البلجيكية، انها لوحة من لوحات الهروب من الذات .

## الخاتمة

إن من أهم النتائج التي توصل إليه الباحث من خلال دراسته لرواية (الكافرة) هي مايأتي :

١-سلط الروائي ( علي بدر ) _في هذه الرواية _ الضوء على الارهاب الذي يمارس على المرأة، من المجتمع نفسه الذي تعيش فيه،بوصفها (اخرا )، فقد تعرضت للعنف والقتل على يد زوجا أو والدها أو شقيقها حتى قبل مجيء مايسمى بالارهاب الديني، و لاحظنا هذا من خلال الرواية، فأراد الروائي أن يبين الظلم الكبير الواقع على المرأة في مجتماتنا العربية فهي دوما (آخر ) في المجتمع الذكوري الذي يمثل (الأنا )

٢-بين الروائي علي بدر في هذه الرواية ان بتغير الظروف يمكن أن تصبح (الأنا ) هي الآخر ويصبح الآخر هو (الأنا ) فهذا يعتمد على المكان والزمان . كما حدث مع ( فاطمة ) بطلة الرواية .

٣-إن الآخر لم يعد محصوراً في البعيد جغرافيا، أو صاحب العداء التاريخي أو التنافس الدائم، إذ يمكن للذات أن تنقسم على نفسها، أو يحارب بعضها بعضاً، فالأنا العربية تشظت وانقسمت أنواعا متصارعة فيما بينها، بعدما كانت محسومة في السابق، في صراع الأنا العربية مع الآخر الأجنبي، وهذ مابينه لنا الروائي خلال الرواية .

**Abstract**

**The other shows in the Iraqi novel The novel (infidelity) of Ali Badr model**

**By Ghada Jamal Makki**

There are many different aspects of the Iraqi novel in recent years, the other is not necessarily geographically distant, or the antagonist of historical or permanent rivalry, as in the novel (bird from the east) to Tawfiq al-Hakim, and other novels like her, the self can split itself, or The Arab world has been divided and divided into conflicting types among them, after it was decided in the past, in the conflict of the Arab ego with the other foreign, and this fragmentation, and marking the contemporary Arab novel with complexity and ambiguity, there is another internal, and another external, and the interior is divided into several sections , And we have studied In order to study the other, it is necessary to study the ego for their close relationship with one another, so that there is no other without the existence of the self (ego). Therefore, we measured the research on two subjects, And the other's image in the infidel novel and dealing with the first topic: the other internal and types and the second topic: the other external and then the conclusion and the list of sources. Although the story of infidelity was rooted in religious terrorism, the "other" was clear in it. The woman was the "other" throughout the novel. Maanant suffered injustice and persecution from the male society, which represents the ego, The end of the novel to (ego) becomes the man is (the other), changing place and time.

## الهوامش

١- ينظر : صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة ١٩٥٠ الى سنة ٢٠١٠، عالية مرزوق، رسالة دكتوراه في الأدب المقارن ، كلية الآداب والفنون،قسم الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف،٢٠١٧،ص ٤٠.

٢- ينظر : صورة الأنا والآخر في شعر فكتور هيجو www.mahifest.univ-ouargla.d2

٣- البحث عن الذات – دراسة في الشخصية ووعي الذات، ايغوركون، ت: غسان أدب نصر، منشورات دار معد للنشر والتوزيع، دمشق – سورية ١٩٩٢، ص ١٠-١١ . وينظر : صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة ١٩٥٠ الى سنة ٢٠١٠،ص ١٣ .

٤- ينظر : المصدر السابق

٥- الآخر في فرنسا المعاصرة :العربي كبش الفداء، روبار شارفان،الطاهر لبيب وآخرون، صورة العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط٢،٢٠٠٨، ص ٥٩٣ .

٦- المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، جميل صليبيا، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٨٢، ص١٣١ .

٧- ينظر : البعد الجغرافي وصورة الآخر مقاربة أمبيريقية، مصطفى عمر التير، الطاهر لبيب واخرون، ص٤٧٩ .

٨- ينظر : العالم ومأزقه: منطقة الصدام ولغة التداول، علي حرب، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢ ص٢٨١ .

٩- ينظر : صورة الآخر المختلف فكريا: سوسيولوجية الإختلاف والتعصب ، حيدر ابراهيم علي، الطاهر لبيب واخرون،ص ١١١ . وينظر : تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية، الحاج بن علي، رسالة ماجستير،جامعة وهران، كلية الآدابواللغات والفنون، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩-٢٠١٠، ص٩.

١٠- ينظر: الشخصية المصرية وصورة الآخر، همت بسيوني، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر،ط١ ٢٠٠١٣، ص .

١١- ينظر : صورة الآخر في الرواية الجزائرية،ص ١٨ .

١٢- ينظر : شريكات المصير: المرأة المبدعة في الحضارات العراقية ، لطفية الدليمي دار المدى للثقافة والنشر، بيروت،ط١ ٢٠١٣، ص ١٢٥ .

١٣- رواية الكافرة، علي بدر،منشورات المتوسط – ايطاليا ،ط٢ ٢٠١٦، ص ٦٤ .

١٤- الرواية، ص ٦٤ .

١٥- ينظر : شريكات المصير، ص١١٤ .

١٦- ينظر : الأنثى هي الأصل، نوال سعداوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢: ٢٠٠٦،ص١٦٠ .

١٧- الرواية، ص٤٨-٤٩ .

١٨- الرواية، ص٧ .

١٩- الرواية، ص١١.

٢٠- الرواية، ص٧٠ .

٢١- الرواية ص٧٠ .

٢٢- الرواية، ص٧١.

٢٣- الرواية، ص٧١ .

٢٤- الرواية،ص ٦١-٦٢ .

٢٥- ينظر : الانثى هي الأصل، ص.

٢٦- الرواية،ص ١٣.

٢٧- الرواية،ص١٤.

٢٨- الرواية،ص.

٢٩- الرواية،ص٦٢-٦٣ .

٣٠- الرواية، ص٦٣ .

٣١- الرواية،ص ١٥٠ .

٣٢- الرواية،ص٦٣.

٣٣- الرواية،ص١٢٨ .

٣٤- الرواية، ص١٢٨ .

٣٥- الرواية، ص٩٥ .

٣٦- الرواية،ص٤٣ .

٣٧- الرواية،ص٤٥ .

٣٨- ينظر : ثقافة قبول الآخر، ممدوح الشيخ، مكتبة جزيرة الورد ومكتبة الإيمان، ط ١ :٢٠٠٧، ص٧٢ . القران الكريم، سورة ص : اية ٧١-٨٤،

٣٩- القران الكريم، سورة ص ، اية . وينظر : م .ن، ص ٧٢ .

٤٠- القران الكريم، سورة ص ،اية . وينظر : م. ن ، ص١٢-١٨ .

٤١- ينظر : ثقافة قبول الاخر، ص ١٢-١٨ .

٤٢- الرواية، ص١٠٥ .

٤٣- الرواية، ص١٠٥ .

٤٤- الرواية، ص ١٠٤.

٤٥- الرواية، ص ١٠٥.

٤٦- الرواية، ص١٠٥ .

٤٧- الرواية، ص١٠٥ .

٤٨- ينظر : صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة ١٩٥٠ الى سنة ٢٠١٠، ص٤٠ .

٤٩- ينظر :صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، فتحي أبو العينين، في الطاهر لبيب وأخرون، ص ٨١٤ .

٥٠- ينظر : صورة الغرب في الأدب العربي :رواية ( فياض ) لخيري الذهبي أنموذجا ، غسان السيد ، مجلة جامعة دمشق،المجلد ٤، ع : ٣+٤، ٢٠٠٨، ص ٩٢-٩٣ . وينظر : نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، نجم عبد الله كاظم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان،ط١ ٢٠١٣، ص٥٢ .

٥١- ينظر : شرق وغرب رجولة وأنوثة : دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية ، جورج طرابشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط ٤ ١٩٩٧ ، ص١٢.

٥٢- الرواية، ص١٤٤ .

٥٣- الرواية،ص١٤٧ .

٥٤- الرواية،ص١٥٩ .

٥٥- الرواية،ص ١٥٩ .

٥٦- الرواية، ص ١٥٩ .

٥٧- الرواية، ص ٢٦٣ .

٥٨- الرواية، ص ١٦٣ .

٥٩- ينظر : الرواية ص١٧٢ .

٦٠- الرواية : ١٧٣ .

٦١- الرواية : ص١٧٤ .

٦٢- الرواية : ص ١٥٩ .

٦٣- الرواية : ص ١٧١ .

٦٤- الرواية : ص١٧١ .

٦٥- الرواية : ص ١٧٤ .

٦٦- الرواية : ص ١٧٤ .

٦٧- الرواية : ص١٧٥ .

٦٨- الرواية : ص ١٧٦ .

٦٩- الرواية : ص ١٧٥ .

٧٠- الرواية : ص١٧٦ .
٧١- الرواية : ص١٧٦ .
٧٢- الرواية : ص١٧٤ .
٧٣- الرواية : ص١٩٧ .
٧٤- الرواية : ص ١٩٠ .
٧٥- الرواية : ص ١٩٧ .
٧٦- الرواية : ص ١٣٣ .

## المصادر والمراجع


١- الأنثى هي الأصل، نوال سعداوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢: ٢٠٠٦.
٢- البحث عن الذات – دراسة في الشخصية ووعي الذات، ايغوركون، ت: غسان أدب نصر، منشورات دار معد للنشر والتوزيع، دمشق – سورية ١٩٩٢.
٣- ثقافة قبول الآخر، ممدوح الشيخ، مكتبة جزيرة الورد ومكتبة الإيمان، ط ١ :٢٠٠٧.
٤- الشخصية المصرية وصورة الآخر، همت بسيوني، مصر العربية للنشر والتوزيع، مصر،ط١ ٢٠٠١٣.
٥- شرق وغرب رجولة وأنوثة : دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط ٤ ١٩٩٧ .
٦- شريكات المصير: المرأة المبدعة في الحضارات العراقية ، لطفية الدليمي دار المدى للثقافة والنشر، بيروت،ط١ ٢٠١٣.
٧- صورة العربي ناظرا ومنظورا إليه، الطاهر لبيب وآخرون، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط٢،٢٠٠٨ .
٨- : العالم ومأزقه: منطقة الصدام ولغة التداول، علي حرب، منشورات المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٢.
٩- المعجم الفلسفي بالالفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية ، جميل صليبيا، ج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، ١٩٨٢.
١٠- نحن والآخر في الرواية العربية المعاصرة، نجم عبد الله كاظم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – لبنان،ط١ ٢٠١٣.


## الرسائل والأطاريح


١- صورة الآخر في الرواية الجزائرية من سنة ١٩٥٠ الى سنة ٢٠١٠، عالية مرزوق، رسالة دكتوراه في الأدب المقارن ، كلية الاداب والفنون،قسم الأدب العربي، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف،٢٠١٧ .
٢- تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية، الحاج بن علي، رسالة ماجستير،جامعة وهران، كلية الآدابواللغات والفنون، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٩-٢٠١٠.


المجلات والدوريات


١- : صورة الغرب في الأدب العربي :رواية ( فياض ) لخيري الذهبي أنموذجا ، غسان السيد ، مجلة جامعة دمشق،المجلد ٤، ع : ٣+٤، ٢٠٠٨.
٢- صورة الأنا والآخر في شعر فكتور هيجو www.mahifest.univ-ouargla.d2